عراق السوداني مستعد لتحمل مخاطر بناء علاقات مستدامة مع الولايات المتحدة

الكاتب:
رند الرحيم
سفير العراق الأسبق في الولايات المتحدة

المصدر:
المركز العربي في واشنطن
https://arabcenterdc.org/resource/iraqs-sudani-runs-the-risks-of-sustained-relations-with-the-united-states/

التاريخ:
7 أيار 2024

ترجمة وتحرير:
المعهد العراقي للحوار ـ فيصل عبد اللطيف

ملخص تنفيذي

أفصح السوداني عن رؤيته لعلاقة «متكاملة الابعاد» مع الولايات المتحدة مبنية على اتفاق الإطار الاستراتيجي لعام 2008, والتي وضعت الأسس لمشهد عام من التعاون في مجالات الطاقة والمال والصحة والبيئة والتعليم والامن من بين مجالات أخرى. وبعبارة السوداني, ستكون الشراكة العراقية الامريكية المقترحة متعددة الابعاد شراكة «استراتيجية» و «مستدامة» و«طويلة الأمد» وقائمة على الاحترام المتبادل والسيادة.» بتوق شديد لجذب الشركات الامريكية, قدم السوداني وعودا للشركات الامريكية بانها ستحصل على معاملة تفضيلية وتم توقيع العديد من الاتفاقيات الإضافية في واشنطن بما في ذلك توقيع عقود مع متعهدين في مجال الدفاع. سيصطدم البرنامج الطموح الذي طرحه السوداني بتحديات عملياتية وسياسية في داخل العراق. عمليا, يعاني العراق من فساد متجذر بشكل عميق وجهاز بيروقراطي متكلس وتشظي في عملية صنع القرار وقطاع مالي ضعيف ومخاطر امنية مستعصية وقوة عمل من دون معرفة ومهارات تلبي الاحتياجات الدولية. اما التحديات السياسية فهي أكثر جدية. فتفعيل شراكة طويلة الأمد مع الولايات المتحدة تتطلب إرادة سياسية وطنية وهو امر قد لا يمكن الوصول اليه في العراق في الوقت الحاضر.

خلال زيارته الأخيرة الى واشنطن, قدم رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني مقترحا يتعلق بعهد جديد من العلاقات مع الولايات المتحدة مبنية على اتفاقية الإطار الاستراتيجي التي وقعها الطرفان في عام 2008. أنهى السوداني نصف مدة تكليفه برئاسة الوزراء وتبقى له ثمانية عشر شهرا فقط لتحقيق رؤيته الخاصة ببناء روابط متينة مع الولايات المتحدة او وضع هذه الرؤية في مسارها الصحيح على اقل تقدير. وعند اخذ الضغوطات المختلفة التي يواجهها رئيس الوزراء بنظر الاعتبار و وضع العراق الأمني والاقتصادي, فانه بالإمكان رؤية ان خطط السوداني الطموحة غير مضمونة باي حال من الأحوال ومن المرجح ان تصطدم بتحديات نابعة من قطاعات مختلفة من البيئة السياسية الحالية.

السوداني في واشنطن

في الخامس عشر من نيسان الماضي التقى السوداني مع الرئيس الأمريكي جو بايدن في البيت الأبيض في مطلع زيارة استمرت لمدة سبعة أيام كانت قد تأجلت لفترة طويلة. وجاءت هذه الزيارة في خضم ارتفاع في مستوى التوترات الإقليمية التي خلقتها الحرب

في غزة والتأثيرات المباشرة للهجوم الإيراني على إسرائيل في الثالث عشر من نيسان والذي وقع في نفس الليلة التي وصل فيها السوداني الى واشنطن. ووفقا لمصادر أمريكية وعراقية, كانت زيارة رئيس الوزراء العراقي ناجحة بالرغم من انشغال إدارة السوداني بالحرب على غزة وبالهجوم الإيراني.

ولم تكن الزيارة خالية من المخاطرة السياسية. فقد دعا مشرعون جمهوريون الى الغاء الزيارة واصفين الحكومة العراقية بانها «واقعة تحت تأثير إيراني كبير.» حيث يشير هؤلاء الى الفصائل المسلحة المدعومة من إيران ووحدات الحشد الشعبي والذي يعد جزءا من بنية منظومة الحكم في العراق واشترك سابقا في استهداف مواقع أمريكية: كانت وحدات تابعة للحشد الشعبي قد ادعت مسؤوليتها عن هجمات يوم 28 كانون الثاني مطلع العام الجاري والتي تسببت بمقتل ثلاثة عسكريين أمريكيين في قاعدة عسكرية في الأردن. بالنسبة لرئيس الوزراء العراقي, فان المخاطر السياسية مرتفعة جدا: فهو مدين بتسنمه لمنصب رئاسة الوزراء الى الإطار التنسيقي الشيعي, والذي يضم بين ثناياه بعض من نفس الفصائل المسلحة التي ادانها الكونغرس الأمريكي والتي لطالما طالبت بإنهاء الوجود الأمريكي في داخل العراق. في شهر شباط الماضي, استهدفت الولايات المتحدة مركزا للقيادة تابعا للحشد الشعبي العراقي, ما أسفر عن قتل قيادي بارز في كتائب حزب الله, أحد أكثر الفصائل المسلحة تشددا. بالإضافة الى ذلك, فقد الهبت الحرب على غزة الرأي العام العراقي, حيث دعت المزيد من الأصوات الشيعية الى انسحاب فوري للقوات الامريكية من البلاد بل وحتى الى غلق السفارة الأمريكية في بغداد. الا ان هذه التوترات والدعوات لم تثن رئيس الوزراء العراقي عن زيارة الولايات المتحدة.

كان جدول لقاءات السوداني في واشنطن مكتظا بشكل كبير. ففي البيت الابيض، التقى السوداني مع الرئيس جو بايدن ومستشار الامن القومي جاك سوليفان: ومع وزير الخارجية انتوني بلينكن ووزير الدفاع لويد اوستن ووزير الخزانة بل وحتى مع وزير الامن الداخلي. كذلك التقى رئيس الوزراء مع أعضاء من الكونغرس ومراكز الدراسات وغرفة التجارة الامريكية والدفاع وشركات النفط. في هذه المناسبات واللقاءات الإعلامية, ظهر رئيس الوزراء واثقا ومتوقد الذهن ومتمكنا بشكل استثنائي في حضوره لهذه المناسبات وتعامله مع الشخوص. كذلك ابدى رئيس الوزراء انضباطاً: حيث احتفظ برباطة جأشه

تحت ضغط سيل الأسئلة الصعبة التي طرحتها المقدمة كريستين امانبور العاملة في وكالة سي ان ان, على الرغم من اتصاف بعض اجاباته بالمراوغة واللا اقتناع.

في لقاءاته, أفصح السوداني عن رؤيته لعلاقة «متكاملة الابعاد» مع الولايات المتحدة مبنية على اتفاق الإطار الاستراتيجي لعام 2008, والتي وضعت الأسس لمشهد عام من التعاون في مجالات الطاقة والمال والصحة والبيئة والتعليم والامن من بين مجالات أخرى. في عام 2016 أيضا, أنشأ العراق والولايات المتحدة لجنة تنسيق عليا مشتركة, الا انها اهملت في وقت لاحق, ربما لانصباب جل التركيز في تلك المرحلة نحو قتال ما يعرف بالدولة الإسلامية. خلال السنوات الفاصلة, تم اهمال اتفاقية الإطار الاستراتيجي من قبل كل من بغداد وواشنطن. ومن بين المفارقات هي ان دعوة الفصائل المسلحة العراقية المستمرة والمحمومة لانسحاب القوات الامريكية من العراق أعطت لاتفاقية الإطار الاستراتيجي أهمية وزخما متجدداً. وبتعبير السوداني, ستكون الشراكة العراقية الامريكية المقترحة متعددة الابعاد شراكة «استراتيجية» و «مستدامة» و»طويلة الأمد» وقائمة على الاحترام المتبادل والسيادة.» من اجل احياء اتفاقية الإطار الاستراتيجي, تم عقد اجتماع جدي للجنة التنسيق العليا ترأسه عن الجانب الأمريكي وزير الخارجية الأمريكي انتوني بلينكن وعن الجانب العراقي نائب رئيس الوزراء العراقي ووزير التخطيط محمد تميم خلال زيارة السوداني لواشنطن وتأسيس اليات للعمل تسهل التعاون المشترك في مستقبلا.

لقد وصف السوداني العراق كونه فرصة متاحة للاستثمار من قبل الشركات الامريكية. واكد السوداني بشكل متوقع على قطاع الطاقة, وسافر الى مدينة هيوستن للقاء وتوقيع اتفاقيات مع شركات مختصة بالطاقة. وكان لهذا الامر أهمية مضاعفة في ضوء الانسحاب الذي قامت به شركات أمريكية مهمة من العراق, تحديدا شركة اكسون موبيل, خلال السنوات القليلة الماضية. حيث قاد تراجع وجود شركات النفط الامريكية الى هيمنة صينية على هذا القطاع بشكل خلق نوعا من اختلال التوازن حتى أصبح هذه الاختلال احد مصادر القلق بالنسبة للمسؤولين العراقيين. بتوق شديد لجذب الشركات الامريكية, قدم السوداني وعودا للشركات الامريكية بانها ستحصل على معاملة تفضيلية وتم توقيع العديد من الاتفاقيات الإضافية في واشنطن بما في ذلك توقيع عقود مع متعهدين في

مجال الدفاع. في المجال العسكري, أبرز بيان مشترك مع وزير الدفاع الالتزام المشترك بين الطرفين حول تعميق التعاون الأمني بما في ذلك مجال التدريب وشراء المعدات.

رؤية السوداني كما ينظر اليها في بغداد

سيصطدم البرنامج الطموح الذي طرحه السوداني بتحديات عملياتية وسياسية في داخل العراق. عمليا, يعاني العراق من فساد متجذر بشل عميق وجهاز بيروقراطي متكلس وتشظي في عملية صنع القرار وقطاع مالي ضعيف ومخاطر امنية مستعصية وقوة عمل من دون معرفة ومهارات تلبي الاحتياجات الدولية. وبالرغم من محاولة الحكومة العراقية التصدي لهذه المعوقات, البعض منها ـ مثل الفساد ـ مترسخ في النظام, في الوقت الذي يصعب فيه معالجة بعضها الاخر, مثل الجاهزية المهنية, بين ليلة وضحاها. مثل هكذا مثالب تعلب دورا في تثبيط وابعاد الاستثمارات الغربية.

اما التحديات السياسية فهي أكثر جدية. فتفعيل شراكة طويلة الأمد مع الولايات المتحدة تتطلب إرادة سياسية وطنية وهو امر قد لا يمكن الوصول اليه في العراق في الوقت الحاضر. الإطار التنسيقي ـ والذي يضم جماعات مسلحة مدرجة ضمن قوائم العقوبات الامريكية ـ دعم زيارة رئيس الوزراء الى واشنطن, على الرغم من مطالبته بتقديم تعهد واضح يخص انسحاب القوات الامريكية. بشكل مماثل, تبنى ائتلاف إدارة الدولة وهو مظلة جامعة لأحزاب شيعية وكردية وسنية زيارة السوداني الى الولايات المتحدة دون التركيز على قضية الوجود العسكري الأمريكي في العراق. ان التباين بين موقف الفريقين هو امر متوقع. فالكرد دعموا بشكل متكرر وصريح بناء علاقات قوية مع الولايات المتحدة, بما في ذلك التعاون الأمني والعسكري كضامن لأمنهم الخاص. اما السنة فقد دعموا بشكل اقل صخبا الاحتفاظ بروابط قوية مع واشنطن كثقل موازن للنفوذ الإيراني في العراق. ولكن, ورغم هذه الاختلافات, ان موقف كلا الكتلتين جاء مساندا للسوداني ويمكن ان يكون لهذا الامر دورا في المساهمة بنجاح زيارته للولايات المتحدة.

ان المعارضة الشديدة لرؤية السوداني ربما ستاتي من بعض الجماعات الشيعية, تحديدا فصائل المقاومة داخل الحشد الشعبي, والتي تقوم باستهداف المصالح الامريكية في العراق وسوريا وادعت مسؤوليتها عن القيام بهجمات استهدفت إسرائيل أيضا. هذه الفصائل لديها التزام عقائدي نحو إيران ومتأثرة بحساباتها الاستراتيجية فيما يخص ما قد

تسببه الشراكة العراقية الامريكية من ضرر او فائدة على مصالح الجمهورية الإسلامية الإقليمية. وإذا ما كان للماضي أي دلالة, فانه من مصلحة إيران السياسية والاقتصادية استمرار حالة اللايقين وعدم القدرة على التنبؤ طاغية على البيئة الأمنية العراقية وكذلك من مصلحة إيران لعب دور الضامن للأمن والاستقرار في البلاد. ان الاحداث الجارية في المنطقة ـ اكثرها جدية استمرار الحرب في غزة والصراع المفتوح مع حزب الله – سيكون من دورها تعزيز الأصوات المتشددة التي تحرض بالضد من علاقات عراقية أمريكية وثيقة.

في شهر كانون الثاني من عام 2020, وردا على اغتيال الولايات المتحدة الجنرال قاسم سليماني وزعيم الحشد الشعبي العراقي أبو مهدي المهندس, تبنى اغلبية البرلمانين الشيعة قرارا غير ملزم بطرد القوات الامريكية من العراق. في شهر شباط من نفس العام, في استجابة للهجمات أمريكية استهدفت قائدا في كتائب حزب الله, ادانت فصائل شيعية في البرلمان الاغتيال وسعت الى تمرير قانون ملزم لإخراج القوات الامريكية لكنها فشلت في مسعاها هذا. حيث قاطع نواب سنة واكراد جلسة البرلمان او امتنعوا عن التصويت, وكذلك فعل بعض النواب الشيعة. هذه المحاولات تؤشر وجود معارضة راسخة لمجموعات من داخل الحشد الشعبي لأي انخراط مع الولايات المتحدة وتؤشر كذلك وجود انقسامات في المواقف داخل أروقة الإطار التنسيقي. في الأشهر القليلة الماضية, زادت الحرب على غزة والتبادل بالهجمات المميتة بين الفصائل العراقية والقوات الامريكية من حدة المواجهة واعطت الفصائل منبرا لتحشيد الدعم بالضد من الولايات المتحدة. إدراكا منهما لحجم الضغوط, أطلقت الحكومتان العراقية والأمريكية في شهر كانون الأول من العام الجاري اللجنة العسكرية العليا والتي كلفت بتشخيص وتقييم احتياجات العراق الأمنية وموائمة الدعم الأمني الدولي مع هذه الاحتياجات. ولكن, مهما يكن من الامر, ليس من الضروري ان يكون هذا الشيء تمهيدا لجدولة الانسحاب العسكري الدولي, الأمريكي بشكل رئيس, من العراق. لقد تصدى السوداني للدعوات المطالبة بوضع إطار زمني للانسحاب لكنه تعهد بان حكومته ستلتزم بما ستتوصل اليه اللجنة العسكرية العليا.

ان هذه الخطوة لم تكن كافية لإرضاء الأصوات المتشددة. ففي العشرين من شهر نيسان, اليوم الذي عاد فيه السوداني من واشنطن, قام أحد النواب عن حركة حقوق, وهي الذراع السياسي لكتائب حزب الله, بتوجيه رسائل الى رئيس الوزراء والى وزراء اخرين

متسائلا فيها عن جدوى زيارة الولايات المتحدة وتحديدا بيان ما تم تحقيقه بخصوص انسحاب قوات التحالف من البلاد. بعد ذلك بأيام قليلة, شنت هجمات على القوات الامريكية في سوريا والعراق من موقع قرب محافظة نينوى في شمال البلاد. وفي يوم 26 نيسان استهدفت طائرة مسيرة حقلا للغاز في محافظة السليمانية تشرف عليه شركة إماراتية. والرسالة من هذه الاعمال كانت واضحة: انه بإمكان الفصائل استهداف المصالح الامريكية وتقويض الامن في العراق متى وأين ما شاءوا في تحدي صريح لحكومة بغداد.

من التحديات الأخرى التي تواجهها الشراكة التي يقترحها السوداني مع الولايات المتحدة قد تأتي من منافسيه. فالإطار التنسيقي يتضمن بعض الزعماء الشيعة, والذين تدفعهم طموحاتهم الشخصية ويضعون نصب اعينهم الانتخابات النيابية القادمة, لا يرغبون بنجاح رئيس الوزراء العراقي. فبكل الأحوال هم ينظرون الى السوداني كشريك صغير لا يمتلك حزب يسنده وتم اختياره من قبل الإطار ليكون أداة لتنفيذ اراداتهم لا لكي يصبح لاعبا مستقلا, وعليه سيرغب منافسوه بتقويضه. ومع ذلك, ان الإطار التنسيقي ليس متجانسا بشكل مطلق, فهو يشتمل على جهات براغماتية تدعم رؤية رئيس الوزراء لأنها تأمل من الإفادة منها, بالإضافة الى ذلك, فانه يتضمن أولئك الذين يرفضونها بناءاً على أسس أيديولوجية او بدافع المنافسة, واخرون ممن يقفون موقف الحياد من كل ذلك. ومع اقتراب موعد الانتخابات, ستتشكل وتتمحور التحالفات وخطوط الانقسام داخل الإطار التنسيقي حول شخص رئيس الوزراء. فالكثير من الأحزاب الشيعية استثمرت فعليا بالدولة وتتمتع بحصة كبيرة من الوفرة الاقتصادية وترى بان الشراكة مع الولايات المتحدة ستزيد من نصيبها من هذه الوفرة.

السوداني يعزز من موقفه

سعيا منه لتعزيز موقفه داخليا, بذل رئيس الوزراء العراقي جهودا, ربما بحث من الولايات المتحدة, لتسوية الخلافات مع الكرد, بالرغم من المشاكل التي خلقتها قرارات المحكمة الاتحادية حول عوائد نفط إقليم كوردستان العراق, والتي وصفها الكرد بانها غير منصفة وتقف خلفها دوافع سياسية. لقد منح كل من الحزبين الكرديين الرئيسيين, الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني موافقتهم التامة لزيارة السوداني الى واشنطن, والعلاقات بين بغداد واربيل اليوم أفضل مما كانت عليه خلال

الأشهر الماضية. كذلك التقى السوداني مع قادة من داخل المشهد السني الضعيف والمتشظي وأعلن عن اطلاق مشاريع في وسط مدينة الانبار السنية. برنامج السوداني للخدمات العامة مصمم للكسب الشعبي. لذلك فان السوداني يحاول ان يحصل على دعم يتعدى الإطار التنسيقي ويصل الى أحزاب سياسية أخرى والى الناخب العراقي.

إقليميا, وسع السوداني وعمق من الروابط الاقتصادية مع الجوار والتي استهلها اسلافه. فمضى السوداني قدما بالشراكة الاقتصادية مع الأردن ومصر من ناحية ومع قطر والسعودية والامارات العربية المتحدة من جهة أخرى. لقد اشتمل هذا التعاون العربي على قطاعات الطاقة والكهرباء والسكن والصحة وغيرها. طريق التنمية الذي اقترحه السوداني, والذي سيربط ميناء الفاو بموانئ في تركيا ومن هناك الى اوربا بكلفة تقدر بسبعة عشر مليار دولار, جذب كل من السعودية وتركيا والامارات الى اتفاقية استراتيجية طويلة الأمد مع العراق. مثل هكذا التزام عراقي باتجاه المحيط العربي للعراق هو امر مستهجن للفصائل المسلحة المدعومة من إيران والتي طالما شيطنت شراكة العراق مع العرب والأتراك. وباي حال من الأحوال, فان رئيس الوزراء العراق منشغل في دمج العراق بالنسيج الاقتصادي الإقليمي بطريقة لا يمكن التراجع عنها مستقبلاً

الدور الأمريكي

منذ توقيع اتفاقية الإطار الاستراتيجي في عام 2008 ومرورا بثلاث دورات رئاسية, لم تنظر الولايات المتحدة الى العراق أكثر من كونه مشكلة امنية, وانصب تركيز السياسة الامريكية بشكل واضح على الامن والاحتياجات العسكرية. ولكن, ان أي علاقة يتم ترجمتها بشكل ضيق لا يمكن ان تكون «مستدامة» ولا «مستمرة» وستفقد امكانية تحقيق انخراط اقتصادي واجتماعي وتكنلوجي ذو معنى. ان تنفيذ التفويض الواسع النطاق لاتفاقية الإطار الاستراتيجي اضحى الان ضرورة وليس رفاهية لكلا البلدين.

وكما ان الحكومة العراقية تسعى الان الى الوصول الى شراكة متعددة الابعاد, ينبغي على حكومة الولايات المتحدة والقطاع الخاص اغتنام هذه الفرصة وتوظيف السياق الاوسع الذي وفرته اتفاقية الإطار الاستراتيجي بشكل جاد. مما لا شك فيه يوجد هنالك عوامل إدارية وسياسية وربما حتى امنية يتوجب اخذها بنظر الاعتبار, بالإضافة الى ان الفساد على مختلف المستويات لا يزال مشكلة أساسية في العراق. لذا يتوجب على

الولايات المتحدة ليس فقط التفكير مليا في الإفادة من تطبيق اتفاقية الإطار الاستراتيجي، ولكن أيضا الاخذ بالحسبان الكلف التي يمكن ان تنجم عن عدم تطبيق هذه الاتفاقية. وهذه المخاطر تتضمن انعدام الاستقرار في العراق ونمو قدرة الجماعات المتشددة وما لذلك من تداعيات إقليمية وتعاظم في النفوذ الإيراني واحتمال جنوح العراق عن السياسات العربية الإقليمية السائدة والاتجاه شرقا باتجاه روسيا والصين.

التوصيات والملاحظات:

- رؤية رئيس الوزراء العراقي لعلاقات ثنائية شاملة ومستدامة مع الولايات المتحدة تهدف الى اعادة تعريف العلاقة بين البلدين بعيدا عن المنظور الأمني والعسكري والتي هيمنت عليها منذ التدخل الأمريكي العسكري في العراق بعد عام 3002.

- يعترض وضع هذه الرؤية الرامية الى طوي صفحة معقدة من تاريخ العلاقات الطارئة المبنية على غالبا على التعاون الأمني والانتقال بالعلاقة بين الطرفين الى افاق ومديات اوسع محددات داخلية وإقليمية واعتبارات سياسية وانتخابية سيتوجب على رئيس الوزراء العراقي الموازنة بينها خلال الفترة المتبقية من ولايته.

- ان حسم ملف التواجد العسكري الدولي في العراق سيفسح المجال امام نقل علاقة البلاد مع الولايات المتحدة الى وضع طبيعي, ويزيح عائقا ومدخلا لتأزيم العلاقات الثنائية بشكل دوري تتسبب به دوامة الاستهداف والاستهداف المضاد بين القوات الامريكية والفصائل المسلحة في العراق.

- سيتيح انهاء الوجود العسكري الأجنبي أيضا عزل العلاقات الثنائية بين العراق والولايات المتحدة كمصلحة استراتيجية وطنية عن الاستقطاب والتجاذب السياسي والمزايدات الانتخابية والخطاب الشعبوي الذي غالبا ما القى بضلاله على العلاقة بين البلدين طيلة السنوات الماضية.

+9647905400123
Head@hewariraq. com